**قضايا الواقعية والالتزام**

**إعداد الأستاذ طارق بوحالة**

**أولا: الواقعيّة**

تعد فكرة الواقعية من أهم القضايا التي ترتبط بمباحث علم الاجتماع الأدبي، حيث إن هذا الحقل النقدي يبحث في ماهيّة الواقعية وفي شروط وصور تحققها داخل النص الأدبي، غير إن الإشكالات التي تواجه المشتغلين في علم الاجتماع الأدبي ما يتعلق بالفرق بين الواقع والواقعية، وهل بالضرورة أن يتطابق الواقع الاجتماعي مع الواقعي داخل النص الأدبي وهو ما دفع بـ: لوسيان غولدمان إلى التعبير بقوله: "هل وضع العمل الفني بالنسبة إلى المجتمع: هل هو مجرد انعكاس أم عرض أم تعبير عن طريقة خيالية للواقع مرتبطة به جدليّا"

والواقع الاجتماعي هو مجموع ما يمارسه المجتمع حقيقة، أي إنه الوجود الحقيقي لحياة الأفراد ضمن العلاقات الاجتماعية، أما الواقعية فهي بمثابة نزعة أو مطلب يهدف إليه الأدباء ويسعون نحوه قصد جعل أعمالهم ذات صبغة واقعية. وهو ما يجعل مفهوم الواقع الاجتماعي لا يتطابق مع فكرة الواقعية في الأدب. وهذا لا ينفي فرضية أو أطروحة أن كل عمل إبداعي هو خلق خيالي يعكس إلى حد ما مضمون الوعي الجماعي لدى عدد أو فئة أو طبقة من المجتمع.

انطلاقا من هذه الزاوية فإن الواقعية في الأدب هي عملية جمالية يحاول أصحابها أن يكونوا واقعيين في أعمالهم.

وينبه الفرنسي غوستاف لانسون إلى مسألة مهمة ترتبط بنوعية العلاقة بين الأدب والمجتمع، فليس هناك ارتباط سالب بين الواقع والأدب، حيث يكون منعكسا في الأدب لا غير، بل هناك تأثير متبادل بينهما، فما دام الأدب يفتح إمكانيات ما ينبغي أن يكون، فمعنى ذلك أنه يساهم بفعالية في بناء حركة الواقع.

ويرى الناقد المصري عبد المنعم تليمة أن "مفهوم الواقع يتحرر من المثول ومن المباشرة الواقفة عند حدّ المرئي والملموس حيث إن الواقع في الأدب هو انتظام للشوق نحو الاكتمال والحلم بما لم يقع، واستشراف بمستقبل آت.... وليس الأدب أو الفن انعكاسا سلبيا، بل هو إسهام في التعرف على الواقع، وأداة للم تفاصيله وسلاح لتغييره.

**ثانيا: قضايا الالتزام**

يظهر مفهوم الالتزام وشروط تحققه في كتابات عديدة، فلسفية ونقدية، وهو مفهوم أساسي في النظرية الواقعية التي تشترطه معيارا في الكتابة الأدبية الملتزمة بقضايا عصرها، من آمال وطموحات وانكسارات، كون الكتابة الأدبية عنصر فعال في التعبير عن الحياة الاجتماعية، والالتزام أيضا مفهوم من مفاهيم الفلسفة الوجودية كما مثلها الفرنسي جون بول سارتر.

وتعبر مقولة الالتزام عن مدى التزام الأديب بقضايا مجتمعه ومدى التعبير عنها من خلال أعماله الأدبية، ويظهر أن الأديب بمجرد اختيار الأديب أن يكون كذلك فقد أصبح ملتزما لأن الكتابة نوع من الالتزام.

ويرتبط الالتزام بمفهوم آخر قد يتعارض معه للوهلة الأولى وهو "الحرية" فكل التزام هو تعبير عن الحرية الفردية، مما يجعله يتعارض مع مفهوم الإلزام ، حين لا يخضع الأديب إلى ضغوط واكراهات خارجية.

وتظهر العلاقة بين الالتزام في مجال علم الاجتماع الأدبي من خلال وجود علاقة أساسية بين الواقع الاجتماعي والالتزام . حيث يتعامل معه على أساس أنه معيار يحدد الدور الاجتماعي الذي يتوجب أن يتحقق في كل كتابة أدبية، فالأديب ملتزم بدوره داخل الواقع الاجتماعي انطلاقا من وعيه بقضايا هذا الواقع .